الأبعاد التداولية في التوجيهات النحوية عند أبي السعود العمادي (ت 982هـ)، آيات "الندم" أنموذجا

Pragmatic dimensions in the grammatical directives of Abu al-Su`ud al-`Amadi (d. 982 AH), The verses of “Remorse” as a model

إعداد

أحمد أحمد السيد أبو عميرة

أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد – قسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة الفيوم

Aaa10@fayoum.edu.eg

الملخص:

يأتي هذا البحثُ تحتَ عنوان" الأبعاد التداولية في التوجيهات النحوية عند أبي السعود العمادي (ت 982هـ)، آيات " النَّدَم " أنموذجا". وذلك في محاولةٍ لبيان الأبعاد التداولية في التوجيهات النحوية عند أبي السعود العمادي، في تفسيره الموسوم بـ (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، وقد حدَّد البحث مادته في آيات (النَّدَم) في الخطاب القرآني، وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مع توظيف معطيات الاتجاه التداولي، وأدواته، في الكشف عن اهتمام أبي السعود العمادي في توجيهاته آيات (النَّدَم) بمراعاة مقصود المتكلم، ومراعاة حال المخاطب، والسياق.

جاءَ البحثُ في مقدمةٍ، عرضتْ موضوعَ البحث، وأهميتَه، وأهدافَه، ومنهجَه، ثُمَّ مدخلٍ نظريٍّ، عرَّف التداوليةَ، وأوضح عنايةَ الدرس اللغوي العربي بالسياق، ومراعاة مقصود المتكلم، وحال المخاطب، ثُمَّ الجانبِ التطبيقيّ، الذي رصد الأبعاد التداولية كما جاءت في توجيهات أبي السعود العمادي لآياتِ (النَّدَم) في تفسيره، وذلك من خلال حصْرِ آيات الخطاب القرآني في موضوع (النَّدَم، والتَّحَسُّر)، ثُمَّ وضْعِ عناوين المسائل النحوية، وعرض التوجيهات النحوية لتلك الآيات، عند أبي السعود العمادي، وبيان الأبعاد التداولية في توجيهاته النحوية عنده. ثُمَّ سجَّل البحثُ أهمَّ ما توصَّل إليه من نتائج، ثُمَّ قائمة المصادر، والمراجع التي أفاد منها البحث.

الكلمات المفتاحية:

الأبعاد التداولية، التوجيهات النحوية، أبو السعود العمادي، آيات الندم.

Abstract:

This research is titled "The Pragmatic Dimensions of the Grammatical Directives of Abu Al-Su'ud Al-'Imadi (d. 982 AH), Verses of "Remorse" as a Model." It is an attempt to demonstrate the pragmatic dimensions of the grammatical directives of Abu Al-Su'ud Al-'Imadi, in his interpretation entitled (Guidance of the Sound Mind to the Merits of the Holy Qur'an). The research has defined its subject matter in the verses of (regret) in the Qur'anic discourse. The research relied on the descriptive analytical approach, with the use of the data of the pragmatic approach and its tools, in revealing Abu Al-Saud Al-Amadi's interest in his directions of the verses of (regret) in taking into account the speaker's intention, the addressee's condition, and the context.

The research came in an introduction that presented the research topic, its importance, its objectives, and its method, then a theoretical introduction that defined pragmatics, and clarified the interest of the Arabic linguistic study in the context, and taking into account the speaker's intention and the state of the addressee, then the applied aspect, which monitored the pragmatic dimensions as they appeared in Abu Al-Saud Al-Amadi's directions for the verses of (regret) in his interpretation. This is achieved by limiting the verses of the Qur'anic discourse to the topic of (regret and regret), then setting the titles of the grammatical issues, presenting the grammatical directions for those verses, according to Abu Al-Su'ud Al-Amadi, and clarifying the pragmatic dimensions of his grammatical directions. The research then recorded the most important results it reached, followed by a list of the sources and references from which the research benefited.

Keywords: **Pragmatic dimensions, grammatical directions, Abu Al-Saud Al-Amadi, verses of regret.**

المقدمة

أصبح الاهتمام بالتداولية و اقعًا راسخًا في الدراسات اللغوية؛ إذْ إنَّها تهتم بفهم طبيعة اللغة، التي هي: رسالة لها طرفان، مرسل، ومستقبل، وذلك في سياق له معطياته الدَّالَّة المؤثرة، ولا شكَّ في أنَّ الدرس اللغوي العربي القديم قد أعطى السياق، ومراعاة مقصد المتكلم، وحال المخاطب مساحةً كبيرةً من الاهتمام، والعناية؛ فالمفسرون، ومعربو القرآن الكريم، وشرَّاح الحديث النبوي، قد اعتنوا عنايةً كبيرةً بما يُسمَّى حديثًا أبعاد التداولية، مثل: مقصدية المتكلم، ومقبولية المخاطب، والسياق، بل يمكن القول: إنَّ الاهتمام بالفكر اللغوي التداولي- بما يحمله من منجزاتٍ اليوم- كان راسخًا عند النحاة، وعلماء اللغة، والبلاغة، والمفسرين، ومعربي القرآن، وشرَّاح الحديث منذ قرون عديدة.

وهذا ما دفع إلى الإيمان بضرورة الكشف عن ملامح الفكر اللغوي التداولي في الدرس اللغوي العربي القديم، فكان عنوان هذا البحث:" الأبعاد التداولية في التوجيهات النحوية عند أبي السعود العمادي "ت 982هـ"([1]) ، آيات " النَّدَم" أنموذجا". وترجع أهمية هذا الموضوع إلى عدة أمور، منها:

- أنَّ عملَ المفسر قائمٌ بالأساس على تداولية اللغة، في سياق الخطاب القرآني، وملتزمٌ بمراعاة مقصود المتكلم، وحال المخاطب، وعناصر السياق.

- أنَّ تفسير أبي السعود العمادي (ت982هـ)، من التفاسير التي اعتنتْ بالسياق، وعناصره في توجيه المعاني النحويَّة، في الخطاب القرآني.

([1]) محمد بن محيي الدين محمد بن مصطفى العمادي، ويعرف باسم خوجة جلبي، ولد سنة (898هـ)، في بلدة (إسكليب)، في العصر العثماني، وكنيته أبو السعود، من كبار العلماء، والقضاة في الدولة العثمانية، وينسب إلى جده عماد الدين، فسمي بالعمادي، نشأ في بيت علم؛ فأبوه محيي الدين كان عالمًا، فشجعه على تحصيل العلم، ومجالسة العلماء، وقد اشتغل أبو السعود بالتدريس والقضاء فتولى قضاء قسطنطينية. وتقلد الإفتاء بالدولة العثمانية في سنة (952هـ)، وظل بهذا المنصب بقية حياته في عهد سليمان الأول، وخليفته سليم الثاني. كان عالمًا حافظًا، مناظرًا، مفسرًا، أثني عليه العلماء ثناءً عظيمًا. ينظر في ترجمته: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد عبد الحي بن أحمد، (ت1089هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1993، جـ1/ 584. وتراجم الأعيان من أنباء الزمان: البوريني، الحسن بن محمد (ت 1024هـ)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، دمشق،1995م، جـ1/239. والعقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، ابن بالي (ت992هـ)، دار الكتب العربية، بيروت ،1975م، ص441.

- أنَّ البحث حدَّد مادتَه بعناية؛ فقد خصَّـصَ البحثُ الخطابَ القرآني، في آيات (النَّدَم)، وهو موضـوعٌ قرآنيٌّ شـديدُ الصلة بتداولية الخطاب؛ لخصـوصـيَّة مقصـدية الخطاب على لسـان أصحاب الندم، ومراعاة حالهم، وسـياقهم. وهذا يجعل البحث في موضوعٍ مستقلٍ، له خصوصية سياقية، أولى من البحث العام، وأجدر في الوصول إلى نتائج دقيقة.؛ لذا، فقد هَدَفَ البحثُ إلى:

- الكشـف عن الأبعاد التداولية في توجيهات أبي السـعود العمادي في سياق آيات الندم، موضوع البحث.

- بيان أثر مراعاة السياق، ومقصدية الخطاب، وحال المخاطب، في توجيهات أبي السعود العمادي في سياق الآيات موضوع الدراسة.

- تـأكيـد العلاقـة بين التوجيـه الإعرابي في الخطـاب القرآني، وبين الوظـائف، والمعاني التداولية عند أبي السعود العمادي.

منهج البحث، ومادته:

اعتمـد البحـث على المنهج الوصــفي التحليلي، مع توظيف معطيـات الاتجـاه التداولي، وأدواته التي تؤثر في فهم مقصــدية المتكلم، ومقبولية المخاطب، والمقام، والسـياق. وفي سـبيل تحقيق أهداف البحث، تم اختيار تفسـير أبي السـعود العمادي، الموسوم بـ (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، وتم تحديد آيات (النَّدَم) في الخطاب القرآني؛ وذلك بوصــفها موضــوعًا قرآنيًّا، له علاقةٌ واضـحةٌ بتداولية الخطاب، وسياق النادمين، وحالهم، ومقصدية الخطاب.

أجزاء البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمةٍ، عرضتْ موضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، ومادته، وأجزاءه، ثُمَّ مدخلٍ نظريٍّ: ناقش مفهوم التداولية، والإشارة السـريعة إلى اهتمام علماء اللغة العرب بأبعادها، وأدواتها، ثم جاء الجانب التطبيقي، ليعالج الأبعاد التداولية في التوجيهات النحوية، عند أبي السـعود العمادي لآيات (النَّدَم) في الخطاب القرآني، وذلك من خلال حصر آيات (الندم والحسرة) في الخطاب القرآني، ثم وضـع عناوين المسـائل النحوية، وعرض التوجيهات النحوية عند أبي السـعود العمادي لهذه الآيات، مع الوقوف على الأبعاد التداولية التي ظهرت من خلال توجيهات أبي السـعود النحوية، ومنها: مراعاة قصـدية المتكلم (أصحاب الندم)، وحال

المخاطب، وسـياق الحال. ثم سـجَّل البحث أهم النتائج التي توصـل إليها، و اتبع ذلك قائمة بالمصادر، والمراجع.

مدخلٌ نظريٌّ

مفهوم التداولية (Pragmatic)

تشير مادة (دَوَلَ) في معناها اللغوي إلى عدة معان: المداولة، والدوران، والانتقال، والتحول، والتعاقب، والتبادل. وفي مقاييس اللغة:" الدال، والواو، واللام أصلان: أحدُهما يدلُّ على تحوُّل شيءٍ من مكان إلى مكان، والآخريدلُّ على ضُعفٍ، واسترخاء، فأمَّا الأول فقال أهل اللغة: اِنْدَالَ القومُ، إذا تحوَّلوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تَدَاوَلَ القومُ الشيءَ بينَهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض"([1]). وجاء في اللسان:" الدَّوْلَةُ والدُّولَةُ: العُقْبة في المال، والحرب سَواء، والدُّولَة، بالضم في المال، يقال: صار الفيء دُولَة بينهم يَتَدَاوَلُونَهُ مَرَّة لهذا، ومرة لهذا، ودَالَتِ الأَيامُ؛ أي: دارت، والله يُدَاوِلُها بين الناس. وتَدَاوَلته الأيدي: أخذته هذه مرَّة، وهذه مرَّة "([2]). وفي القاموس المحيط:" تَدَاوَلُوه: أخذوه بالدُّوَلِ، ودَوَالَيكَ، أي: مُدَاوَلَة على الأمر، أوتَدَاول بعد تَدَاولٍ"([3]). قال تعالى:" وتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ"([4])؛ والمراد: نصرفها، يُقال: داولت بينهم الشيء، فتداولوه([5]).

والتداولية هي ترجمة للمصطلح الأجنبي (Pragmatics)، ويعبر عنها بعدة مصطلحات، مثل: البراجماتية، والتخاطبية، والوظيفية، والاستعمالية، والتبادلية، ولكن المصطلح الأكثرذيوعًا في اللسانيات المعاصرة (التداولية)، من الفعل (تَدَاوَلَ)، بما يحمله من دلالات التفاعل، والتخاطب، والتداول، والتواصل. ويعود مصطلح التداولية إلى الفيلسوف (موريس)، وهي عنده جزء من السيمائية، وتعالج العلاقة بين العلامات،

(1) مقاييس اللغة: ابن فارس (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، 314/2.

(2) لسان العرب: ابن منظور (ت 711هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط 1 (2005م)، 350/6.

(3) القاموس المحيط: الفيروزآبادي (ت 817هـ)، تحقيق: أبو الوفا نَصرُ الهُوريني، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت، ص1014.

(4) سورة آل عمران: آية (140).

(5) ينظر: الكشاف: الزمخشري (ت 538هـ)، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1407هـ/ 1987م، جـ419/1.

ومستعملي العلامات([1]). وقد ترجم طه عبد الرحمن المصطلح الأجنبي (Pragmatics)، بالتداولية؛ يقول:" وقع اختيارنا منذ 1970م، على مصطلح (التداوليات)، مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا)؛ لأنه يوفّي المطلوب حقَّه باعتبار دلالته على معنيي (الاستعمال، والتفاعل)"([2]).

وتختلف التداولية عن البنائية، فالبنائية نظرية لسانية تهتم باللغة في ذاتها، بوصفها نظامًا مستقلًا من خصائص صوتية، وتركيبية، تدرس لأجل ذاتها([3]). أما النظرية التداولية، فهي نظرية لسانية وظيفية، تعد فرعًا من فروع اللسانيات في صيغتها التطبيقية، وهي" قاعدة كل اللسانيات"([4]). وبذلك" تتلخص مهام التداولية في دراسة استعمال اللغة التي لا تدرس (البنية اللغوية) ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلامًا محددَا، صادرًا عن متكلمٍ محددٍ، وموجها إلى مخاطبٍ محددٍ، بلفظٍ محددٍ، في مقامٍ تواصليّ محدد؛ لتحقيق غرضٍ تواصليّ محددٍ"([5]).

إنَّ التداولية تهتم بدراسة" كُلِّ مظاهر المعنى، من غير فصلِها عن نظرية الدلالة؛ فالتداولية بهذا المعنى تدرس اللغة من خلال استعمالها ضمن سياق معين، دون إهمالها المعنى، وعلاقته بظروف الكلام، فهي تهتم بالمخاطبين، ومقاصدهم، والسياق الذي ترد فيه، مع مراعاة المقام، وكُلُّ هذه العناصر متداخلة، ومترابطة فيما بينها"([6]). وهناك علاقة وثيقة بين التداولية، وعلم النصِّ؛ فكلاهما يتجاوز حدود الجملة، إلى دراسة السياق، والخطاب، ودلالة النصِّ الكلية.

([1]) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط،1، 2002م، ص (97).

([2]) في أصول الحوار، وتجديد علم الكلام: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م، ص (27).

([3]) ينظر: علم اللغة الحديث: محمد حسن عبد العزيز، مكتبة الآداب، القاهرة، 2011م، ص (214).

(4) المقاربة التداولية: فرانسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علواش، مركز الإنماء القومي، د.ط، د.ت، ص34.

(5) التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة" الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي: د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة، والنشر، بيروت، ط1،(2005م)، ص 26.

([6]) الأسس الإبستمولوجية، والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه: إدريس مقبول، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، 2008م، ص (264).

إنَّ الأبعاد التداولية تتداخل مع معايير التماسك النصي؛ فالقصدية، والمقبولية، بوصفهما معيارين تداوليين يرتبطان بمستعملي النصّ: المتكلم، والمخاطب. كذلك على المتكلم أن يراعي السبك، والحبك، وهما من معايير التماسك النصي. ويشير د. سعيد بحيري، إلى أنَّ بنيةَ النصِّ معقدةٌ، وتحتاج إلى النحو، والدلالة، والتداولية؛ فالنحو يهتمُّ بتوضيح القواعد التي تضمن صياغة القول، والدلالة تهتمُّ بالشروط التي تجعل الأقوال مفهومة، والتداولية تهتمُّ بالعلاقة بين بنية النصِّ، وعناصر الموقف التواصلي، وتهتمُّ بمقبولية الأقوال، وملاءمتها السياق([1]).

إنَّ الدرس اللغوي، والبلاغي العربي القديم اهتم بأبعاد التداولية المعاصرة، من خلال دراسة النص مع التعويل على المقام، والسياق، والنظم، إضافة إلى اهتمامه بدراسة الجملة، والتركيب النحوي، ويعد تعريف ابنِ جني اللغةَ دليلاً على فهم حقيقة التواصل اللغوي؛ يقول:" أما حدُّها فإنَّها أصواتٌ يعبرُ بها كُلُّ قومٍ عن أغراضهم"([2]). كذلك فإنَّ اهتمام البلاغيين العرب بمراعاة المقام، ومطابقة الكلام مقتضى الحال هو جوهر الفكر التداولي المعاصر، في اللسانيات الحديثة.

إنَّ ملامح الفكر التداولي المعاصر، يمكن رصدها في مؤلفات علماء العربية القدامى، مثل: الخصائص، لابن جني (ت392هـ)، والصاحبي، لأحمد بن فارس (ت 395هـ)، والصناعتين، لأبي هلال العسكري (ت 395 هـ)، ودلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، ومفتاح العلوم، للسكاكي (ت 626هـ)، إلى غير ذلك من كتب، ومؤلفات.

إن تعريف المصطلحات البلاغية عند علماء البلاغة العرب تكشف عن فهمهم العميق لأبعاد التداولية المعاصرة، ومن ذلك تعريف الجاحظ (ت255هـ) مصطلح البيان، بقوله:" اسم جامع لكل شيءٍ، كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأنَّ مدار الأمر، والغاية التي إليها يجري القائل، والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيءٍ بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذاك هو البيان في ذلك الموضع"([3]). ومن

([1]) ينظر: علم لغة النص: سعيد بحيري، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، 1997م، ص (136).

(2) الخصائص: ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، 1370هـ/1951م، جـ33/1.

(3) البيان والتبيين: الجاحظ (ت 255هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، مصر، د.ط، (1975م) 76/1 .

ذلك أيضًا تعريف أبي هلال العسكري البلاغةَ بقوله:" البلاغةُ من قولهم: بَلَغتُ الغاية، إذا انتهيت إليها، وبلَّغتُها غيري.. فسميت البلاغة بلاغة؛ لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه"([1]).

وتعد قضية (المقال، والمقام) من القضايا المركزية في الدرس اللغوي، والبلاغي العربي؛ يقول السكاكي (ت 626هـ):" لا يخفى عليك أنَّ مقامات الكلام متفاوتة؛ التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار، أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار... ثم إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول"([2]).

<u>المراد بقولنا: الأبعاد التداولية في هذا البحث:</u>

يأتي البحث الحالي، تحت عنوان:" الأبعاد التداولية في التوجيهات النحوية عند أبي السعود العمادي (ت 982هـ)، آيات "الندم" أنموذجا". ويهتم البحث بالوقوف على ثلاثة أبعاد تداولية أساسية في توجيهات أبي السعود العمادي، في تفسيره الموسوم بـ (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، وذلك في موضوع قرآني محدد، هو (آيات الندم، والحسرة) في الخطاب القرآني، وهذه الأبعاد الثلاثة هي: مقصدية المتكلم، وحال المخاطب، والسياق، بوصفها أبرز الأبعاد التداولية التي تراءت في توجيهات أبي السعود العمادي للآيات، موضوع الدراسة.

كذلك فإنَّ اختيار هذه الأبعاد الثلاثة، نابعٌ من أنَّ هذه الأبعاد (مقصدية المتكلم/ حال المخاطب/ السياق)، تعد أهمَّ ثلاثة عناصر عند القدامى: الأول: مقصود المتكلم من إيراد الكلام، والثاني: مراعاة حال المخاطب، والثالث: السياق اللغوي، ويشمل العناصر اللغوية المحيطة بالكلام. وهناك علاقة وثيقة بين مقصود المتكلم، وبيان الدلالة

(1) كتاب الصناعتين(الكتابة والشعر): العسكري، أبو هلال (ت395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(1986) ص6 .

(2) مفتاح العلوم: السكاكي (ت 626هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ/ 1987م، ص 256.

التركيبية؛ إذْ إنَّ" الدلالة التركيبية هي تلك الدلالة التي تستفاد من السياق، والنظم بما يشتمل عليه من قرائن الحال، والمقام، التي تدل على مقصد المتكلم"[1].

وتشير مادةُ الفعل (قَصَدَ) في اللغةِ إلى عدةِ معانٍ، منها: الاعتزامُ والتوجّهُ، وقِيْلَ: قَصَدتُّهُ أَقْصدهُ قَصْدًا، وَقَصَدتُّهُ فانْقَصَدَ وتَقَصَّدَ[2]. ولقد عوَّل علماء اللغة على مقصد المتكلم، ومن مرادفاته: مراد المتكلم، قصد المتكلم، فقولهم:" عَنَيْتُ بالكلام كذا، أي: قَصَدْتُ وعَمَدْتُ"[3]. يقول الآمدي: "إنَّ دلالات الألفاظ ليست لذواتها، بل هي تابعة لقصد المتكلم، وإرادته"[4]. ولذلك فإنَّ مراد المتكلم هو" أَصْلٌ يضمُّ قوانين الكلامِ"[5]. وكذلك فإنَّ المخاطب في حاجةٍ إلى فهم قرائن السياق؛ يقول ابن دقيق العيد (ت 702هـ)، موضحًا أثر السياق في تحقيق مقبولية المخاطب:" أما السياق والقرائن فإنها الدَّالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات"[6].

وتختلف التداولية عن الدلالية؛ فالتداولية" تتجاوز محددات الدلالة، إلى دراسة مدى إمكانية الكشف عن قصدية المتكلم من خلال إحالة الجملة إلى السياق؛ لمعرفة مدى التطابق، أو عدم التطابق بين دلالة الجملة لسانيًّا وظروف السياق... للكشف عن مجموعة من القوانين العامة، التي تتحكم بتحديد دلالة المنطوق سياقيًّا"[7]. وتعنى التداولية ببحث اللغة على المستوى الوظيفي، عن طريق وضع البنية اللغوية في سياق الاستعمال اللغوي؛ إذ إنَّ مستويات اللغة الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، وقواعدها المرتبطة بها، والمحددة لصياغتها تفهم تداوليًّا في ضوء عناصر السياق، أو في

---

(1) الإعجاز الصرفي في القرآن: د. عبد الحميد أحمد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2008م، ص (50).

(2) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيدة (ت 458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1421هـ/2000م)، جـ6/187. وينظر: لسان العرب: جـ12/113، مادة (قصد).

(3) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس (ت 395هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2003م، ص (312).

(4) الإحكام في أصول الأحكام: الإمام العلامة علي بن محمد الآمدي، علق عليه: الشيخ عبد الرازق عفيفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، (1424هـ/2003م)، جـ1/18.

(5) سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1402هـ/1982م)، ص (43).

(6) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: ابن دقيق العيد (ت 702هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، (1414هـ/1994م)، جـ2/21.

(7) التداولية منهجا نقديا: د. معن الطائي، بحث منشور في (جريدة الأديب) العدد (58) للسنة الثانية، 2005م، بغداد، ص22.

ظل المعنى السياقي، والإنجاز اللغوي على المستوى الخطابي، والتواصلي. فالتداولية إذن، هي" دراسة استعمال اللغة في سياق معين، وتختص بتقصي كيفية تفاعل البنى، والمكونات اللغوية مع عوامل السياق، لغرض تفسير اللفظ، ومساعدة السامع على ردم الهوة التي تحصل أحيانا بين المعنى الحرفي للجملة، والمعنى الذي قصده المتكلم"([1]).

وترتبط التداولية بتعالق البنية اللغوية بمجال استعمالها؛" فالتداولية ليست علمًا لغويًّا محضًا، بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف البنى اللغوية، وتفسيرها، ويتوقف عند حدودها، وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال"([2]).

(1) التداولية: يول جورج، ترجمة الدكتور قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1 (1431هـ/2010م) ص13.

(2) التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة" الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي: ص15-16.

الجَانبُ التَّطبِيقيُّ

مسائل الأبعاد التداولية في توجيهات أبي السعود النحوية لآيات (الندم) موضوع الدراسة.

لقد اهتم أبو السعود العمادي في توجيهه الآيات القرانية في سياق موضوع (النَّدَم) اهتمامًا ملحوظًا ببعد تداولي مهم في سياق الخطاب القرآني، يتعلق بالكشف عن مقصدية الخطاب القرآني للمتكلم، وهو ما جاء على لسان حال أصحاب الندم، مع الاهتمام بسياق الخطاب، وتداوليته. وقد أكد الزركشي على أهمية مراعاة مقصود المتكلم في التفسير، يقول:" ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز"[1]. ويوازن ابن القيم بين الفقه، ومقصود المتكلم؛ فيقول:" والفقهُ أخصُّ من الفهمِ، وهو فهمُ مرادِ المتكلمِ، وهذا قدرٌ زائدٌ على مجردِ وضعِ اللفظِ في اللغةِ، وبحسب تفاوتِ مراتب الناسِ في هذا، تتفاوت مراتبهم في الفقهِ، والعلمِ"[2].

إنَّ العلاقة بين التوجيهات النحوية، وقصدية المتكلم وثيقة؛ وقد أكَّد سيبويه على أهمية تحديد قصدية المتكلم في فهمِ المعنى، والإعرابِ؛ بل إنَّ قصدية المتكلم هي التي تكشف أسرار التركيب النحوي، من تقديم، وتأخير، وحذف؛ يقول سيبويه:" فإِنْ قَدَّمْتَ المفعول، وأخَّرْتَ الفاعلَ جَرَى اللفظُ كَمَا جَرَى في الأولِ، وذلك قَوْلُكَ: ضَرَبَ زيدًا عبدُالله؛ لأَنَّك إِنَّما أَرَدْتَ بهِ مُقَدَّمًا، ولَمْ تُرِدْ أَنْ تَشْغَلَ الفعلَ بَأَوَّل مِنْهُ، وإِنْ كانَ مُؤَخَّرًا في اللفظِ فَمِنْ ثمَّ كانَ حَدُّ اللفظِ أَنْ يكونَ فِيه مُقَدَّمًا، وهو عربيٌّ جيِّدٌ كثيرٌ، كَأَنَّهُم إِنَّمَا يُقَدِّمُونَ الذي بَيَانُهُ أَهَمُّ لهمْ وهُمْ بِبيانِهِ أَعْنَى"[3].

([1]) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1376هـ/1957م، جـ 36/1.

([2]) أعلام الموقعين عن رب العالمين: بابن القيم الجوزية (ت751هـ)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1973هـ، جـ281/1.

([3]) الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، (1408هـ/1988م)، جـ34/1.

ويكشف ابن جني أثر مراعاة إرادة المتكلم في الإعراب، فيقول:" وأمَّا في الحقيقةِ، ومَحصُول الحديثِ فالعملُ مِنَ الرفعِ، والنَّصبِ، والجرّ، والجزمِ، إنما هو لِلمُتكلِّمِ نفسِه، لا لِشَيءٍ غيرِه، و إنما قالوا: لفظيٌّ ومعنويٌّ؛ لمَّا ظَهَرتْ آثارُ فعلِ المتكلم بِمُضَامّهِ اللفظِ لِلّفظِ، أو باشْتِمَالِ الْمَعْنَى عَلَى اللّفظِ"[1].

كذلك يؤثر الاهتمام بمقصد المتكلم في تعدد التوجيهات النحوية؛ يقول الرضيُّ:" إذَا أَرَدْنَا أَنْ نُبَيِّنَ مَتى يُرفعُ المضارعُ بعد (حتَّى)، وَمَتَى يُنصبُ؟ قُلنا: ذاك إلى قَصْدِ المُتَكلّمِ"[2].

نماذجُ اهتمامِ أَبِي السعودِ بالأبعادِ التداوليَّةِ في توجيهاتِه للآيات، التي جاءت في سياق (الندم)، وهي:

- إبدالُ الألف من يَاءِ المتكلمِ، تأكيدًا لمقصدية المتكلم

قال تعالى:" فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ"[3].

الآية في سياق (النَّدَم) الذي أصاب (قابيل)، بعدما قَتَلَ أخَاه (هابيل)، وقد بدأ أبو السعود ببيان المعنى، وتوجيه الإعراب؛ مراعيًا السياق؛ يقول:" و(كيف) حال من ضمير (يُواري)، والجملةُ ثاني مفعولي (يري) والمراد بسوأة أخيه: جسدُه الميْتُ. (قَالَ): استئنافٌ مبنيٌّ على سؤالٍ، نشأ من سوق الكلام، كأنَّه قيلَ: فماذَا قالَ عند مشاهدةِ حال الغراب، فقيل: قال: يا ويلتى"[4]

ويتضح من توجيه أبي السعود السابق أثرُ السياق، ومراد الكلام في توجيه الفعل (قال) على أنه استئناف، وأشار إلى أنَّ الاستئناف نشأ من سياق الكلام.

وفي توجيه أبي السعود قوله تعالى، على لسان قابيل (يا ويلتى)، ذهب أبو السعود إلى أنَّ (الألف) بدلٌ من (ياء المتكلم). وقد بنى أبو السعود هذا التوجيه على مراعاة مقصدية المتكلم، قابيل (= صاحب الندم)، حالَ حسرتِه، وندمِه؛ فمقصدية المتكلم هي

([1]) الخصائص: جـ1/109-110.

(2) شرح الكافية: الرضي (ت ٦٨٦ هـ)، تحقيق: د. حسن الحفظي، ويحيى بشير مصري، جامعة الإمام، الرياض، ط1، (1414هـ/1994م)، جـ2/865.

([3]) سورة المائدة: آية (31).

(4) إرشاد العقل السليم إلى مز ايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت جـ3/ 28.

الدافع وراء توجيه (الألف) بدلاً من (ياء المتكلم)، في قوله: يا ويلتى. يقول أبو السعود:" يا ويلتى: هي كلمةُ جَزَعٍ، وتحسّرٍ، والألف بدلٌ من ياء المتكلم، والمعنى: يا ويلتي احضري؛ فهذا أوانك، والويلُ، والويلةُ: الهلَكة. أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ؛ أي: عن أنْ أكونَ مِثْلَ هذا الغراب؛ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي: تعجبٌ من عدم اهتدائِه، إلى ما اهتدى إليه الغرابُ"([1]).

- الاتّساعُ في ضميرِ المخاطبِ، من التخصيصِ إلى التعميم؛ مراعاةً لمقصدية المتكلم

قال تعالى: "وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"([2]).

الآية في سياق (النَّدَم) الذي أصاب أصحاب النار، عند وقوفهم على النار، وفي معرض تناوله تفسير هذه الآية، ذهب أبو السعود إلى أنَّ ضمير المخاطب في الفعل (تَرَى) يتسع مراعاةً لمقصدية الخطاب؛ يقول أبو السعود:" وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النار: الخطابُ، إمَّا لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم، أو لكل أحد من أهل المشاهَدة، والعِيانِ؛ قصدًا إلى بيان كمالِ سوءِ حالِهم وبلوغِها من الشَّنَاعةِ، والفظاعةِ إلى حيثُ لا يختصُّ استغرابُها براءٍ دونَ راءٍ، ممَّن اعتاد مشاهدةَ الأمورِ العجيبة، بل كلُّ منْ يتأتى منْهُ الرؤيةُ، يتعجبُ من هولها، وفظاعتِها"([3]).

- حذفُ مفعول (تَرَى)؛ لدلالة الظَّرف عليه؛ مراعاةً للمعنى المقصود من الخطاب

حيث رأى أبو السعود أنَّ الفعل (تَرَى) قد حُذِفَ مفعولُه، وذلك لدلالة ما في حيز الظرف (إِذْ) عليه، وذلك في قوله تعالى في الآية السابقة نفسها (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ). يقول أبو السعود:" وجوابُ (لو) محذوف ثقةً بظهوره، و إيذاناً بقصور العبارة عن تفصيله، وكذا مفعولُ (تَرَى) لدِلالة ما في حيّزِ الظرْفِ عليه؛ أي: لو تراهم حين يوقَفون على النار؛ حتى يعاينوها، لرأيتَ ما لا يسعه التعبيرُ"([4]).

إنَّ هذا التوجيه بحذف مفعول (تَرَى)؛ لدلالة الظرف (إِذْ) عليه، استند إلى بُعدٍ تداوليٍّ، يتعلق بمراعاةِ مقصدية المتكلم، ومراد الخطاب، ببيان أنَّ مفعول الرؤية لا

([1]) السابق: جـ3/ 28.

([2]) سورة الأنعام: آية (27)

([3]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ122/123.

([4]) السابق: جـ123/3.

يتحدد بشيءٍ واحدٍ مرئيّ؛ إنَّما دلَّ على مفعول الرؤيةِ المعنى المفهومُ من الظرف (إذْ) بما يحمله هذا الظرف، والسياق من أهوال معاينتهم النار، وندمهم على ما فرطوا من قبل.

- إجراءُ (الواو) مجرى (الفاء) في جوابِ التَّمني، ونصبِ المضارع بعدها بـــ (أنْ) مضمرة

ذهب أبو السعود إلى أن الفعلين (نُكَذِّبَ/نَكُونَ) منصوبان بعد (أنْ) مضمرة، في قوله:"يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ". وذلك لأنَّ (الواو) في قوله:" يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ"، بمعنى (فاء السببية). يقول أبو السعود:" وَلَا نُكَذّبَ بآيات رَبّنَا: أي بآياته الناطقةِ، بأحوال النار، وأهوالها الآمرةِ باتقائها؛ إذ هي التي تخطُر حينئذ ببالهم، ويتحسرون على ما فرّطوا في حقها. وَنَكُونَ مِنَ المؤمنين: بهَا العاملين بمقتضاها؛ حتى لا نرى هذا الموقفَ الهائلَ، أو نكونَ من فريق المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين بحُسن المآب. ونصب الفعلين على جواب التمني بإضمار(أنْ) بعد (الواو)، وإجرائها مجرى (الفاء)"[1].

وهذا التوجيه بنصب الفعلين (نُكَذِّبَ / نَكُونَ) بإجراء (الواو) مجرى فاء السببية، في جواب التمني، يراعي مقصدية المتكلم (= أصحاب النار النادمين)؛ لأن هذا التوجيه يراعي مقصدَ تمنّيهم، وهو ما أشار إليه أبو السعود بقوله:" والمعنى إنْ رُدِدْنا لم نكذبْ، ونكنْ من المؤمنين"[2].

- العدولُ إلى صيغة الجمعِ، مع تحققِ العمومِ في صورة الإفراد؛ مراعاةً لمقصدية المتكلمِ، وسياقِ الحالِ

قال تعالى:" وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ"[3].

الآيةُ في سياقِ (ندم) الظالمين، عند رؤيتهم العذاب، وإسرارهم الندامة؛ لأنهم بهتوا من معاينة الأهوال. وقد أشار أبو السعود إلى أنَّ في الآية عدولاً من صيغة الإفراد، في الإشارة إلى الظالمين بالمفرد (نَفْسٍ)، إلى صيغة الجمع، في قوله (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ)؛ ورأى أنَّ العدول هنا دفع إليه مقصدية المتكلمين (الظالمين النادمين)، وو افق سياق حالهم مجتمعين مبهوتين من هول العذاب.

([1]) السابق: جـ123/3.

([2]) نفسه: جـ123/3.

([3]) سورة يونس: آية (54).

يقول أبو السعود:" وَأَسَرُّواْ، أي: النفوسُ المدلولُ عليها بكلِّ نفسٍ، والعدولُ إلى صيغةِ الجمعِ، مع تحقُّقِ العمومِ في صورةِ الإفرادِ أيضًا؛ لإفادةِ تهويلِ الخطبِ، بكون الإسرارِ بطريقِ المعيةِ، والاجتماعِ؛ و إنَّما لم يُراعَ ذلك فيما سبق؛ لتحقيق ما يتوخى من فرض كونِ جميعَ ما في الأرض لكل واحدةٍ من النفوس، و إيثارُ صيغة الجمع المذكرِ؛ لحمل لفظ النفسِ على الشخص، أو لتغليب ذكورِ مدلولِه على إناثه. الندامة: على مافعلوا من الظلم، أي: أخفَوْها، ولم يظهروها، لكن لا للاصطبار، والتجلد، هيهاتَ، ولاتَ حينَ اصطبارٍ، بل لأنهم بُهتوا"([1]).

- جوازُ العطف على المقدرِ، بدلالة السياق عليه

قال تعالى:" وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا"([2]).

الآية في سياق (الحسرة، والندم) الذي أصاب صاحب الجنتين، عندما، وقف نادمًا بعد أن أُحيط بثمرة هاويًا على عروشه، بسبب ما حل به، وبجنتيه؛ جزاءَ شركه، وفي معرض تناوله تفسير هذه الآية، ذهب أبو السعود إلى جواز العطف على المقدر المحذوف، إذا دلَّ عليه السياق، فـ (الواو) في قوله: وأحيط بثمره، عطفت هذه الجملة على مقدر يفسره السياق.

يقول أبو السعود:" وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ: أُهلك أموالُه المعهودةُ، من جنتيه، وما فيهما، وأصلُه من إحاطة العدوّ، وهو عطفٌ على مقدرٍ؛ كأنَّه قيلَ: فوقع بعضُ ما توقَّع من المحذور، وأُهلك أمواله، و إنما حُذِفَ لدلالةِ السباقِ، والسياقِ عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة، فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ: ظهرًا لبطن، وهو كنايةٌ عن الندم، كأنَّه قيل: فأصبح يندم"([3]).

- نصبُ الجملة الفعلية على الحال؛ مراعاةً لمقصدية المتكلم، ومواءمة السياق

قال تعالى:" يَومَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحشُرُ ٱلمُجرِمِينَ يَومَئِذٖ زُرقٗا يَتَخَافَتُونَ بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا"([4]).

([1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ154/4.

([2]) سورة الكهف: آية (42).

([3]) السابق: جـ5/ 223.

([4]) سورة طه: الآيتان: (102-103).

الآية في سياق (النَّدَم) الذي أصابَ المجرمين، عندمَا بُعثوا للحشر، وهم يرون الأهوال، فيتخافتون فيما بينهم من هولِ ما شاهدوه، وفي معرض تناوله تفسيرهذه الآية، ذهب أبو السعود إلى القول بنصب جملة (يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ) على الحال، استنادًا إلى مقصدية المتكلمين (المجرمين النادمين)، ومواءمة للسياق.

يقول أبو السعود:" يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ: أي يخفِضون أصواتَهم، ويُخفونها؛ لما يملأ صدورَهم من الرعب، والهول، استئنافٌ ببيان ما يأتون، وما يذرون حينئذ، أو حالٌ أخرى من المجرمين، أي: يقول بعضُهم لبعض، بطريق المخافتة: إِن لَّبِثْتُمْ، أي: ما لبثتم في الدنيا، إِلاَّ عَشْراً، أي: عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها؛ لزوالها، أو لاستطالتهم مدةَ الآخرة، أو لتأسفهم عليها؛ لمّا عاينوا الشدائدَ، و أيقنوا أنَّهم استحقوها، على إضاعتها في قضاء الأوطارِ، و اتّباعِ الشهوات"([1]).

- مجيءُ الكلامِ على نهجِ التوكيد القسمي؛ مراعاةً للسياقِ، ومقصدية المتكلم.

قال تعالى:" قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحِي وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ"([2]).

الآيات في سياق (الندم، والاعتراف بالظلم) الذي أصاب الظالمين، عندما صمُّوا آذانهم عن الدعاء، والهداية، ولئن مستهم نفحة من العذاب، ندموا، ودعوا على أنفسهم بالويل، والعذاب، واعترفوا بظلمهم. وفي معرض تناوله تفسير هذه الآية، ذهب أبو السعود إلى القول بمجيء الكلام على نهج التوكيد القسمي، مراعاةً للسياق، ومقصدية المتكلمين.

يقول أبو السعود" وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مّنْ عَذَابِ رَبّكَ: بيان لسرعة تأثرِهم، من مجيء نفس العذابِ، إثرَ بيان عدمِ تأثرِهم من مجيء خبره؛ على نهج التوكيدِ القسميّ، أي: وبالله لئن أصابهم أدنى إصابة، أدنى شيءٍ من عذابِهِ تعالَى، كما ينبىء عنه المسُّ، والنفحة بجوهرها، وبنائها فإن أصلَ النفح هبوبُ رائحةِ الشيءِ. لَيَقُولُنَّ يا ويلنا إِنَّا كُنَّا ظالمين: ليدْعُنّ على أنفسهم بالويل، والهلاك، ويعترِفُنّ عليها بالظلم"([3]).

- مجيءُ (بل) للإضرابِ؛ مراعاةً لمقصدِ المتكلمين، وحالهم.

([1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ41/6.

([2]) سورة الأنبياء: آية (45-46).

([3]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ70/6.

قال تعالى:" وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ"([1]).

الآية في سياق (ندم الظالمين، واعترافهم بظلمهم أنفسهم)، عند البعث، والحساب. وفي معرض تناوله تفسير هذه الآية، ذهب أبو السعود إلى القول بمجيء (بل) للإضراب، مراعاةً لمقصد المتكلمين، وبيان سياق حالهم.

يقول أبو السعود:" بَلْ كُنَّا ظالمين: إضرابٌ عما قبله، من وصف أنفسهم بالغفلة؛ أي: لم نكن غافلين عنه؛ حيث نهنا عليه بالآيات، والنذر، بل كنا ظالمين بتلك الآيات، والنذُرِ، مكذّبين بها، أو ظالمين لأنفسنا، بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب"([2]).

<u>- زيادة (ما) بين الجار والمجرور؛ للتأكيد، ووضع الظاهر موضع المضمر للتعليل؛ مراعاةً للسياق، وحال المخاطب</u>

قال تعالى:" قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ"([3]).

الآياتُ في سياقِ دعاءِ هودُ عليه السَّلامُ ربَّه، عند يأسِه من إيمان قومه؛ متضرّعًا إلى الله عزَّوجلَّ أنْ ينصره؛ بسبب تكذيبهم له، فتوعد الله أنهم سيصبحون نادمين، عما قليل، فأخذتهم الصحية، والعذاب. وفي معرض تفسير أبي السعود هذه الآيات، ذهب في توجيهاته النحوية إلى أنَّ (ما) زائدة بين الجار والمجرور، في قوله (عَمَّا قَلِيلٍ)؛ للتأكيد. يقول أبو السعود:" عَمَّا قَلِيلٍ، أي: عن زمانٍ قليلٍ، ومَا مزيدةٌ بينَ الجارِ والمجرورِ؛ لتأكيدِ معنى القلَّةِ كما زِيدتْ في قوله تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مّنَ الله، أو نكرةٌ موصوفةٌ، أي: عن شيءٍ قليلٍ، لَيُصْبِحُنَّ نادمين، على ما فعلوه من التَّكذيب، وذلك عند معاينتِهم للعذابِ"([4]).

كذلك ذهب أبو السعود إلى أنَّ الخطاب القرآني وضع الظاهر موضع المضمر في قوله (فَبُعدًا للقَومِ ٱلظَّٰلِمِينَ)، فلم يقل: فبعدًا لهم. وإنما ذكرهم بالاسم الظاهر (القوم الظالمين)، للتعليل؛ والمراد هنا مراعاة حال المخاطبين، وهم قوم هود عليه السلام، والمعنى: لبيان سبب هلاكهم بالصيحة، والعذاب، وهو أنهم ظالمون لأنفسهم بكفرهم،

([1]) سورة الأنبياء: آية (97).

([2]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ85/6

([3]) سورة المؤمنون: الآيات (39-40-41).

([4]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ134/6.

وعنادهم. يقول أبو السعود:" فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظالمين"، إخبار أو دعاء وبُعدًا من المصادر التي لا يكادُ يُستعمل ناصبُها، والمعنى بعدُوا بُعداً أي هلكُوا و(اللامُ) لبيانِ مَن قيلَ له بُعدًا، ووضعُ الظَّاهر موضعَ الضَّميرِ للتَّعليلِ"([1]).

- إفادة (ليت) معنى التمني، مع معان أخرى؛ بحسب السياق، ومقصدية المتكلم. مع دلالة (اللام) القسمية على المبالغة.

قال تعالى:" وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا"([2]).

الآيات في سياق (الندم، والحسرة، والغيظ) من الظالم؛ متمنيًا لو كان قد اتخذ مع الرسول طريق الهداية، والرشاد، بعيدًا عن الضلال. وفي معرض تفسيره هذه الآيات، أشار أبو السعود إلى أنَّ (ليت) في قوله (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا)، أفادت التمني، مع معان أخرى، هي: التعلل، والاعتذار؛ وقد استند أبو السعود في ذلك التوجيه إلى بُعْدٍ تداوليٍّ يتعلق بمقصدية المتكلم، وحاله، وطبيعة السياق؛ يقول أبو السعود:"وهذا التَّمنِّي منه، وإنْ كان مسُوقًا؛ لإبرازِ النَّدمِ، والحسرةِ، لكنَّه متضمنٌ لنوعِ تعللٍ، واعتذارٍ، بتوريك جنايتِه إلى الغيرِ، وقوله تعالى: لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذكر، تعليلٌ لتمنيه المذكورِ، وتوضيحٌ لتعللُّهِ"([3]).

كذلك أوضح أبو السعود أن (اللام) في قوله (لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي)، هي لام قسم، جاءت لإفادة المبالغة؛ يقول أبو السعود:" وتصديُره باللامِ القسميَّةِ؛ للُمبالغةِ في بيانِ خطئِه، وإظهارِ ندمهِ، وحسرتِه؛ أي: والله لقد أضلَّني عن ذكرِ

([1]) السابق: جـ135/6.

([2]) سورة الفرقان: الآيات (27-28-29).

([3]) إرشاد العقل السليم إلى مز ايا القرآن الكريم: جـ213.214/6. وقيل المرادُ بالظَّالمِ:" عقبةُ بنُ أبي مُعيطٍ على ما قيلَ من أنه كان يُكثر مجالسةَ النبيّ صلَّى الله عليهِ وسلم، فدعاه صلى الله عليه وسلم يوماً إلى ضيافتِه، فأبى صلى الله عليه وسلم أنْ يأكلَ من طعامِه؛ حتَّى ينطِقَ بالشَّهادتينِ، ففعلَ، وكان أُبيُّ بنُ خَلَفٍ صديقَه، فعاتبَه، فقال: صَبأتَ، فقال: لا، ولكنْ أَبَى أنْ يأكلَ منْ طَعَامي، وهو في بيتي، فاستحييتُ منه، فشهدتُ له، فقال: إنيّ لا أرضى منكَ إلا أنْ تأتيَه، فتطأَ قفاهُ، وتبزقَ في وجههِ، فوجدَه ساجداً في دارِ النَّدوةِ، ففعل ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: لا ألقاكَ خارجاً من مكَّةَ إلاّ علوتُ رأسَك بالسَّيفِ، فأُسرَ يوم بدرٍ، فأمر عليًّا رضي الله عنه، فقتَلَه. وقيل قَتَله عاصمُ بن ثابت الأنصاري". المصدر نفسه: جـ214/6-215.

الله تعالى، أو عن القرآنِ، أو عن موعظةِ الرسول صلى الله عليه وسلم، أو كلمةِ الشَّهادةِ، بَعْدَ إِذْ جَاءنِى، وتمكَّنتُ منه"([1])

- مجيء (اللام) فارقةً بين (إنْ) المخففة من الثقيلة، و (إنْ) النافية؛ لملاءمة السياق، ومقصدية المتكلم.

قال تعالى:" قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ"([2]).

الآيات في سياق (الندم، والحسرة، والخصومة) من المشركين، عبدة الأصنام؛ وهم يختصمون في الجحيم، والنار، معترفين بخطئهم في انهماكهم في الضَّلالةِ. وفي معرض تفسيره هاتين الآيتين، ذهب أبو السعود إلى أنَّ (اللام) في قوله (تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ)، جاءت فارقةً بين (إنْ) المخففة من الثقيلة، و(إنْ) النافية، وذلك بحسب مقصدية المتكلمين، وهم الكافرون، عبدة الأصنام، لتأكيد انغماسهم في الضلالة، والشرك.

يقول أبو السعود:" تالله إن كُنَّا لَفِى ضلال مُّبِينٍ: إنْ مخففةٌ من الثَّقيلةِ، قد حُذف اسمَها، الذي هو ضميرُ الشأن، و(اللام) فارقة بينها، وبين النَّافيةِ؛ أي: إنَّ الشأنَ كُنَّا في ضلالٍ واضحٍ، لا خفاءَ فيه. ووصفهم له بالوضوح؛ للإشباع في إظهار ندمهم، وتحسُّرهم، وبيان عِظَمِ خطئهم في رأيهم، مع وضوح الحقِّ، كما ينبئُ عنه تصديرُ قَسَمِهم بحرف (التَّاءِ) المُشعرةِ بالتَّعجُّبِ"([3]).

- مجيء (لو) للتمني بمعنى (ليت)، مع عدم دلالتها على الشرط؛ مراعاةً لمقصدية المتكلمين، ومقتضى حالهم

قال تعالى:" فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"([4])

الآية في سياق (الندم، والحسرة، والتمني) على لسان المشركين، وهم في الجحيم، متمنين أنْ لو كانتْ لهم رجعة إلى الحياة الدنيا، فيكونوا من المؤمنين. وفي معرض تناوله تفسير هذه الآية، عرض أبو السعود الأوجه المحتملة في (لو)، فرأى أنَّها للتمني، بمعنى

([1]) السابق: جـ6/213.214.

([2]) سورة الشعراء : آية (96-97).

([3]) إرشاد العقل السليم إلى مز ايا القرآن الكريم: جـ 6/252.

([4]) سورة المؤمنون: آية (102).

(ليت)؛ يقول أبو السعود:" فلو أن لنا كرة: للتَّمنّي كـ (ليتَ)؛ لما أنَّ بينَ معنييهما تلاقيًا في معنى الفرضِ، والتَّقديرِ: كأنَّه قيل: فليتَ لنا كرَّةً، أي رجعةً إلى الدُّنيا"([1]).

ثُمَّ عرض رأيَ القائلين بأنَّ (لو) شرطية، وجوابها محذوف؛ يقول أبو السعود:" وقيل: هي على أصلِها من الشَّرطِ، وجوابُه محذوفٌ؛ كأنَّه قيل: فلو أنَّ لنا كرةً لفعلنا من الخيراتِ كيتَ وكيتَ"([2]). ثُمَّ اعترض أبو السعود على رأي من قال: إنَّ (لو) في الآية شرطية، ورجح أنَّ (لو) بمعنى (ليت) للتمني؛ واستند في اعتراضه على رأي من قال إنها شرطية بأن السياق، ومقصد المتكلمين، ومقتضى حالهم، يؤكد أنَّها للتمني، وليست شرطية؛ يقول أبو السعود:" ويأْباهُ قوله تعالى: فَنَكُونَ مِنَ المؤمنين. لتحتُّم كونه جوابًا للتمني، مفيدًا لترتيب إيمانهم، على وقوعِ الكَرَّةِ البتة بلا تخلف، كما هو مقتضى حالِهم"([3]).

<u>- العدول من صيغة الفعل الماضي إلى الجملة الاسمية المؤكدة؛ مراعاة لمقصدية المتكلم، وسياق حاله</u>

قال تعالى:" وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ"([4]).

الآية في سياق (الندم، والحسرة) من المجرمين المذنبين، وهم ينادون ربهم؛ آملين في الرجوع إلى الدنيا، كي يعملوا صالحًا. وفي معرض تناوله تفسير هذه الآية، أشار أبو السعود إلى أنَّ في الآية عدولاً من استعمال صيغة الفعل (الماضي) في قولهم (أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا)، إلى استعمال الجملة الاسمية المؤكدة في قولهم (إِنَّا مُوقِنُونَ). ورأى أبو السعود أن الدافع وراء هذا العدول في الخطاب القرآني، على لسان المجرمين، مقصدهم، وحالهم، للإبانة عن أنهم قد أصبحوا موقنين من أنهم إنْ عادوا للدنيا مرة أخرى سيعملون صالحًا، ولن يعودا للمعصية أبدًا.

ويؤكد ذلك أبو السعود؛ يقول:" وقولُه تعالى: إِنَّا مُوقِنُونَ: إدِّعاءٌ منهم لصحَّةِ الأفئدةِ، والاقتدارِ على فهم معانِي الآياتِ، والعملِ بموجبِها، كما أنَّ ما قبله ادِّعاءٌ لصحَّةِ مشعري البصرِ، والسَّمعِ؛ كأنَّهم قالُوا: و أيقنا، وكنَّا من قبل لا نعقل شيئا أصلاً،

([1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ253/6.

([2]) السابق: جـ253/6.

([3]) السابق: جـ253/6.

([4]) سورة السجدة: آية (12).

وإنما عدلُوا إلى الجملة الاسـمية المؤكدةِ؛ إظهارًا لثباتِهم على الإيقانِ، وكمالِ رغبتهم فيه، وكلُّ ذلك للجدِّ في الاستدعاءِ؛ طمعًا في الإجابةِ إلى ما سألوه"([1]).

- العدول من صيغة المضارع المستمر إلى صيغة الماضي؛ مراعاة لمقصدية المتكلم، وسياق حاله.

قال تعالى:" يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا"([2]).

الآيات السابقة في سياق (الندم، والحسرة) من أصحاب الجحيم، وهم يتقلبون بوجوههم في النار من شدة العذاب؛ متمنين لو أنهم كانوا قد أطاعوا الله، ورسوله، مُتحسِّرين على ما فاتهم، معتذرين إلى ربهم بأنهم قد أطاعوا كبراءهم؛ فأضلوهم السبيلا. وقد ذهب أبو السعود إلى أنَّ في قوله تعالى -على لسان أهل النار(وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) – عدولاً من صيغة المضارع في قولهم السابق (يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا)؛ وقد دفع إلى هذا العدول من استعمال صيغة المضارع المستمر(يقولون)، إلى استعمال صيغة الماضي (قالوا)، مقصدية المتكلمين (= أصحاب الجحيم)، بما يناسب خطابهم، ومرادهم، ومقتضى حالهم.

وقد فصَّل أبو السعود القولَ في بيان هذا العدول، يقول:" و(قالوا) عطفٌ على (يقولُون)، والعدولُ إلى صيغةِ المَاضي؛ للإشعارِ بأنَّ قولَهم هذا ليس مستمرًّا كقولِهم السَّابقِ، بل هو ضربُ اعتذارٍ، أرادُوا به ضربًا من التَّشفي، بمضاعفةِ عذابِ الذين ألقَوهم في تلك الورطةِ، وإنْ علمُوا عدَم قبولِه في حقّ خلاصِهم منها"([3]).

- مجيء الموصوف مقيَّدًا بالوصف؛ لحصول دلالة مقصود المتكلم، وملاءمة سياق الحال.

قال تعالى:" وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ"([4]).

([1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ 82/7.

([2]) سورة الأحزاب: الآيات (66:68).

([3]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ 117/7-118.

([4]) سورة فاطر: آية (37).

الآية في سياق (الندم والتحسر، والاستصراخ) من أهل النار، وهم في العذاب؛ أملاً منهم في الخروج من النار، كي يعملوا عملا صالحًا غير الذي عملوه في الدنيا. وقد ذهب أبو السعود إلى مجيء الموصوف (صَالِحًا) مقيدًا بالوصف (غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ)؛ وذلك؛ لتحقيق الدلالة، والمعنى، والمقصود، الذي أراد المتكلمون (أهل النار)، وهو ما أوضحه أبو السعود في قوله:" رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صالحا غَيْرَ الذي كُنَّا نَعْمَلُ: بإضمارِ القولِ، وتقييدِ العملِ الصَّالحِ بالوصفِ المذكورِ؛ للتَّحسرِ على ما عملوه من غيرِ الصَّالحِ، والاعترافِ به، والإشعارِ بأنَّ استخراجَهم؛ لتلافيهِ، وأنَّهم كانُوا يحسبونه صالحًا، والآنَ تبيَّن خلافُه"([1]).

مجيء (أو) بمعنى (الواو) للجمع، على سبيل تفصيل الإجمال، وليس للتخيير؛ مراعاةً لمقصود المتكلم، وسياق الحال

قال تعالى: أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ"([2]).

الآيات في سياق (الندم، والحسرة، والتمني) على لسان أهل الشرك، والمعصية، نادمين على ما فرطوا في حق الله، معترفين بأنهم كانوا يسخرون من آياته؛ أملا منهم في الرجوع إلى الدنيا، ليكونوا محسنين. وقد ذهب أبو السعود إلى القول بمجيء (أو) ليس على سبيل التخيير فيما قالوه، إنما بمعنى (الواو)؛ للجمع بين كل ما قالوه، على سبيل تفصيل الإجمال؛ تأكيدًا لمقصدهم من كلامهم، وملاءمة لسياق حالهم.

يقول أبو السعود:" أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ الله هَدَانِى: بالإرشاد إلى الحقِّ. لَكُنتُ مِنَ المتقين: الشِّركَ والمعاصيَ. أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العذاب لو أن لي كَرَّةً: رجعةً إلى الدُّنيا. فَأَكُونَ مِنَ المحسنين: في العقيدةِ، والعملِ. و (أو) للدِّلالةِ على أنَّها لا تخلُو عن هذه الأقوالِ؛ تحسُّرًا، وتحيُّرًا، وتعلُّلاً، بما لا طائل تحته"([3]).

- وضع الظاهر موضع المضمر؛ مراعاة لمقصدية المتكلم، وسياق الحال.

([1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ 154/7.

([2]) سورة الزمر: الآيات (56: 58).

([3]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ 260/7-261.

قال تعالى:" وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ"([1])

الآيات في سياق (الندم، ومعاناة العذاب) من أهل النار، وحديثهم إلى خزنة جهنم، أن يدعوا لهم الله أنْ يخفف عنهم العذاب يوما. وفي سياق تفسيره هذه الآية أشار أبو السعود إلى أنَّ الخطاب القرآني قد وضع الاسم الظاهر(جَهَنَّمَ) في موضع المضمر، فلم يقل: لخزنتها، ولكن عدل من استعمال (الضمير) إلى الاسم الظاهر(لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ). وقد أوضح أبو السعود أنَّ هذا العدول- بذكر الاسم الظاهر(جَهَنَّمَ) بدلاً من الضمير- إنما جاء مراعاةً لمقصود المتكلم، ومراعاةً لسياق حال أهل النار. يقول أبو السعود:" وَقَالَ الذين فِي النار: من الضعفاءِ، والمستكبرينَ جميعًا، لمَّا ضاقتْ حيلُهم، وعيّتْ بهم عِللُهم، لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ: أي للقُوَّامِ بتعذيبِ أهلِ النَّارِ. ووضعُ (جهنمَ) موضعَ (الضميرِ)؛ للتهويلِ، والتفظيعِ، أو لبيانِ محلِّهم فيَها، بأنْ تكونَ جهنمُ أبعدَ دركاتِ النار"([2]).

- مجيء (مِنْ) لإفادة ابتداء الغاية؛ مراعاةً لسياق حكال المحكي عنهم.

قال تعالى:" وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ"([3]).

الآيتان في سياق (الندم، والحسرة) من الظالمين، والمشركين، عند رؤيتهم النار، وهم يعرضون عليها، خاشعين من الذل، وينظرون إليها من طرف خفي؛ خوفا، ورهبة. وفي معرض تفسيره هاتين الآيتين، ذهب أبو السعود إلى مجيء (مِنْ) لإفادة ابتداء الغاية، في قوله تعالى حكاية عن العصاة (يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيّ)، وذلك مراعاة لسياق المحكي عنهم، وهم العصاة من الظالمين، والمشركين، وهم يعرضون على النار.

يقول أبو السعود:" وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا: أيْ على النار المدلول عليها بالعذابِ، والخطابُ في الموضعينِ لكلِّ مَنْ يتأتَّى منْهُ الرؤيةُ. خاشعين مِنَ الذل: متذللين مُتضائلينَ، مِمَّا دهاهُم. يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيّ: أي يبتدئُ نظرُهم إلى النَّارِ من تحريكٍ لأجفانِهم، ضعيفٍ كالمصبورِ ينظرُ إلى السيفِ"([4]).

([1]) سورة غافر: آية (49-50).

([2]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ7/ 279.

([3]) سورة الشورى: آية (44-45).

([4]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ35/8.

- مجيء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ لغرض بلاغي يلائم مقصدية المتكلم، وسياق الحال.

قال تعالى:" يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا "([1]).

الآية في سياق (الندم، والحسرة) من المنافقين، في حديثهم للمؤمنين، يطلبون منهم أن ينتظروهم، أو ينظروا إليهم؛ ليقتبسوا من نور المؤمنين، ثم ردَّ المؤمنين عليهم: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا. وقد ذهب أبو السعود إلى أنَّ الكلام في قوله تعالى على لسان المؤمنين، في ردّهم على المنافقين قد جاء على خلاف مقتضى الظاهر؛ وفي هذا التوجيه مراعاة لبعد بلاغي، وتداولي يتعلق بمقصود المتكلم (المؤمنين) ومراعاة لحال المخاطب (المنافقين).

يقول أبو السعود:" قِيلَ: طَرْدًا لهم، وتهكمًا بهم من جهة المؤمنينَ، أو من جهة الملائكةِ. ارجعوا وَرَاءكُمْ: أي إلى الموقف. فالتمسوا نُورًا: فإنَّه من ثمَّ يُقتبسُ، أو إلى الدُّنيا، فالتمسُوا النورَبتحصيل مباديه، من الإيمان، والأعمالِ الصالحةِ، أو ارجعوا خائبينَ خاسئينَ، فالتمسُوا نورَا آخرَ. وقد علمُوا أنْ لا نورَوراءَهُم، و إنما قالُوه؛ تخييبًا لهم، أَوْ أرادُوا بالنورِ: ما وراءَهُم من الظُّلمةِ الكثيفةِ؛ تهكمًا بهم"([2]).

- الجمع بين حرف الجواب (بلى)، والجملة المجاب بها نفسها؛ مراعاة لمقصدية المتكلم، وسياق حاله.

قال تعالى: تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌفَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ"([3]).

الآيتان في سياق الحديث عن (الندم، والحسرة، والاعتراف) من أهل النار، وهم يلقون فيها؛ عندئذ يسألهم خزنة النار، ألم يأتكم نذير، أورسول ينذركم؟ فكان جواب أهل النار: بلى، قد جاءنا نذير. وقد ذهب أبو السعود إلى القول بأن في جواب أهل النار عن سؤال خزنة جهنم جمعًا بين حرف الجواب (بَلَى)، والجملة المجاب بها نفسها، وذلك في جوابهم: بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ. ورأى أبو السعود أنَّ هذا الجمع بين حرف الجواب، وجملة الجواب نفسها راجع إلى إرادة المتكلمين، ومقصدهم، ومراعاةً لسياق حالهم.

([1]) سورة الحديد: آية (13).

([2]) إرشاد العقل السليم إلى مز ايا القرآن الكريم: ج 207/8.

([3]) سورة الملك: آية (8-9).

يقول أبو السعود:" قَالُواْ: اعتراضًا بأنه تعالَى، قد أزاحَ عللَهُم بالكليةِ. بلى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ: جامعينَ بينَ حرفِ الجوابِ، ونفسِ الجملةِ المجابِ بها؛ مبالغةً في الاعترافِ بمجيءِ النذيرِ، وتحسرًا على ما فاتَهُم، من السعادةِ في تصديقِهِم، وتمهيدًا لبيانِ ما وقعَ منهُم، من التفريطِ؛ تندمًا، واغتمامًا على ذلكَ"([1]).

([1]) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: جـ5/9.

الخاتمة

لقد توصلتْ هذه الدراسةُ إلى عدةِ نتائج، منها:

أولًا: ظهرت الأبعاد التداولية في توجيهات أبي السعود العمادي النحوية، فعوَّل على مراعاة مقصدية المتكلم، وحال المخاطب، وملاءمة السياق، في تفسيره.

ثانيًا: بدا واضحًا أثر مراعاة السياق، والعناصر المحيطة بطرفي الخطاب (المتكلم، والمخاطب)، في توجيهات أبي السعود العمادي النحوية لآيات الندم في الخطاب القرآني.

ثالثًا: هناك علاقة وثيقة بين التوجيه الإعرابي، والتأويلات النحوية في الخطاب القرآني، وبين الوظائف، والمعاني التداولية عند أبي السعود العمادي.

رابعًا: جاء الخطاب القرآني في سياق آيات الندم، والحسرة، ذا بعد تداولي واضح، فسياق آيات الندم، كان له علاقة واضحة بتداولية الخطاب، ومقصد النادمين، وحالهم.

خامسًا: تنوعت مسائل التوجيه النحوي عند أبي السعود، وجاءت كاشفة عن الأبعاد التداولية عنده، ومنها: مسائل تتعلق بتوجيه الحروف، والأدوات مراعاة لمقصد المتلكم، وسياق الحال، مثل: مجيء (بل) للإضراب، ومجي (اللام) فارقة بين (إنْ) المخففة من الثقيلة، و(إنْ) النافية، ومجيء (ما) زائدة بين الجار، والمجرور، ومجيء (أو) بمعنى (الواو) للجمع على سبيل تفصيل المجمل، وليس التخيير، ومجيء (مِنْ) لإفادة ابتداء الغاية، والجمع بين حرف الجواب (بلى) والجملة المجاب بها نفسها.

سادسًا: جاءت بعض التوجيهات النحوية عند أبي السعود استنادا إلى الأبعاد التداولية في باب الضمائر، منها: إبدال الألف من ياء المتكلم، والاتساع في ضمير المخاطب من التخصيص، إلى التعميم، ووضع الظاهر موضوع المضمر للتعليل، واتسمت توجيهات أبي السعود في هذه المسائل بالتعويل على مراعاة مقصدية المتكلم، وحال المخاطب، وملاءمة السياق.

سابعًا: ظهرت قضية العدول الصرفي، والتركيبي في بعض التوجيهات النحوية عند أبي السعود لآيات (الندم) موضوع الدراسة: استنادا إلى الأبعاد التداولية، ومنها: العدول إلى صيغة الجمع، مع تحقق العموم في صورة الإفراد، والعدول من صيغة الماضي إلى الجملة الاسمية المؤكدة، والعدول من صيغة المضارع المستمر، إلى صيغة الماضي.

ثامنا: كشفت بعض التوجيهات النحوية عند أبي السعود في سياق آيات (الندم) عن عناية خاصة من أبي السعود بمضمون الكلام، وطرفي الخطاب (المتكلم، والمخاطب)، ومن تلك المسائل: جواز العطف على الكلام المقدر، بدلالة السياق عليه، ومجيء الكلام على نهج التوكيد القسمي، ومجيء الموصوف مقيدًا بالوصف؛ لحصول دلالة المتكلم، ومجيء الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؛ لغرض بلاغي، و إفادة (ليت) معنى التمني، مع معان أخرى.

تاسعًا: كشفت بعض التوجيهات النحوية في الدلالة التركيبية في الآيات موضوع الدراسة عن عناية أبي السعود في الحرص على ملاءمة التوجيهات الإعرابية سياق الحال، ومقصود المتكلم، ومن تلك المسائل: حذف مفعول (ترى) لدلالة ما في حيز الظرف عليه، وإجراء (الواو) مجرى (الفاء) في جواب التمني، ونصب المضارع بعدها بـ(أنْ) مضمرة، ونصب الجملة الفعلية على الحال، ومجيء (لو) للتمني بمعنى (ليت) مع عدم دلالتها على الشرط.

المصادر والمراجع

- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: ابن دقيق العيد (ت 702هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، القاهرة، ط1، (1414هـ/1994م).
- الإحكام في أصول الأحكام: الإمام العلامة علي بن محمد الآمدي، علق عليه: الشيخ عبد الرازق عفيفي، دار الصميعي، للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط1، (1424هـ/2003م).
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود العمادي (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الأسس الإبستمولوجية، والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه: إدريس مقبول، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، 2008م.
- الإعجاز الصرفي في القرآن: د. عبد الحميد أحمد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2008م.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين: بابن القيم الجوزية (ت751هـ)، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1973هـ.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط،1، 2002م.
- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1376هـ/1957م.
- البيان والتبيين: الجاحظ (ت 255هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، مصر، د.ط، (1975م).
- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة" الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي: د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة، والنشر، بيروت، ط1،(2005م).
- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة" الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي.
- التداولية منهجا نقديا: د. معن الطائي، بحث منشور في (جريدة الأديب) العدد (58) للسنة

الثانية، 2005م، بغداد.

- التداولية: يول جورج، ترجمة الدكتور قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ط1 (1431هـ/2010م).
- تراجم الأعيان من أنباء الزمان: البوريني، الحسن بن محمد (ت 1024هـ)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، دمشق،1995م.
- الخصائص: ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، 1370هـ/1951م.
- سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي (ت 466هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1402هـ/1982م).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد عبد الحي بن أحمد، (ت1089هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1993.
- شرح الكافية: الرضي (ت ٦٨٦ هـ)، تحقيق: د. حسن الحفظي، ويحيى بشير مصري، جامعة الإمام، الرياض، ط1، (1414هـ/1994م).
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس (ت 395هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2003م.
- العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، ابن بالي (ت992هـ)، دار الكتب العربية، بيروت ،1975م.
- علم اللغة الحديث: محمد حسن عبد العزيز، مكتبة الآداب، القاهرة، 2011م.
- علم لغة النص: سعيد بحيري، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، 1997م.
- في أصول الحوار، وتجديد علم الكلام: طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م.
- القاموس المحيط: الفيروزآبادي (ت 817هـ)، تحقيق: أبو الوفا نَصرُ الهُوريني، دار الكتاب الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت، ص1014.
- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر): العسكري، أبو هلال (ت395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،(1986).
- الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، (1408هـ/1988م).
- الكشاف: الزمخشري (ت 538هـ)، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت،

لبنان، ط3، 1407هـ/ 1987م.

- لسان العرب: ابن منظور (ت 711هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط 1 (2005م).
- المحكم والمحيط الأعظم: ابن سيدة (ت 458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، (1421هـ/2000م).
- مفتاح العلوم: السكاكي (ت 626هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1407هـ/ 1987م.
- المقاربة التداولية: فر انسواز أرمينكو، ترجمة: سعيد علواش، مركز الإنماء القومي، د.ط، د.ت.
- مقاييس اللغة: ابن فارس (ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.